حكايات لطفلى

من الحكم الذهبية

٤

المَلِكُ زَكَرِيَّا

تأليف: لوسى يعقوب

رسوم: محمد فايد

دار الرشاد

obeikan.com

كَانَ أَحَدُ المُلُوك مَشْهُوراً بِمَحَبَّةِ الذَّات (الغُرُور والأَنَانِيَّة) وَعَدَمِ الاهْتِمَامِ برَعِيَّتِه (بالنَّاس) وَقَدْ وَلَّى عَلَيهِمْ حُكَّاماً ظَالمين ، وَأَصْدَرَ لَهُمْ قَوانِينَ ظَالمةً جَائرَةً ، فَكَانَ الشَّعْبُ يَخَافُ منْهُ وَيُبْغضُهُ (يَكْرَهُهُ) كَبيرُهُمْ وَصَغيرُهُمْ ـ عَلَى السَّوَاء ـ فَمَا كُنْتَ تَجدُ فِى كُلِّ المُدُنِ والقُرَى شَخْصاً وَاحداً يَتَكَلَّمُ عَنْهُ كَلمَةً حَسنَةً ، وَكَثيرُونَ منْهُمْ كَانُوا يُدَبِّرُونَ مُؤَامَرَاتٍ لاغْتيَاله (لقَتْله) .

وَكَانَتْ أَخْبَارُ المُؤَامَرَات تَصلُ إلَيه ؛ فَيَزْدَادَ حرْصاً (خَوْفاً) عَلَى نَفْسه ، وَظُلْماً لشَعْبه .. وَكَانَ قَلَّمَا (قَليلاً مَا) يُرَى خَارجاً ، بَلْ يَقْضِى كُلَّ أَوْقَاته دَاخلَ قَصْره ليَتَمَتَّعَ بمَلَذَّاته كَمَا يَشَاءُ .

وَكَانَ لَهُ ابْنٌ وَحيدٌ ، وَلَكنْ لَمْ يَرَهُ أَحدٌ منَ الرَّعيَّة ، حَتَّى إنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُصَدِّقُونَ أَنَّ لملكهمْ وَلَداً ؛ وَلذَلكَ كَانُوا يَترَقَّبُونَ مَوْتَ المَلك العَجُوز؛ ليَخْتَارُوا لأَنْفُسهمْ حَاكماً عَادلاً ، وَمَحْبُوباً .

وَكَانَ فِى إحْدَى القُرَى غُلامٌ ذَكىٌّ ، ابْنٌ وَحيدٌ لوَالدَين فَقيرَين ، وَكَانَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إلَى ذَلكَ الغُلام ، وَيَهْمسُون قَائلين : « انْظُروا .. كَيْفَ هُوَ حَكيمٌ وَعَاقلٌ ، فَإذَا عَاشَ هَذَا الغُلاَمُ فَلَنْ نَتْعَبَ فِى البَحْث عَنْ شَخْص يَصْلُحُ للْمُلْك أَفْضَلَ منْهُ » .

وَحَدَثَ ـ ذَاتَ صَيف ـ عِنْدَمَا بَلَغَ الغُلاَمُ العشْرِينَ مِنْ عُمْرِه ، أَنْ تَفَشَّى (انْتَشَرَ) وَبَاءٌ (مَرَضٌ خَطِيرٌ) فِى تِلْكَ البِلاَدِ .. واجْتَاحَ (أَصَابَ) كَثِيراً مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ ، الكِبَارِ والصِّغَارِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ أُصِيبَ ذَلِكَ الغُلاَمُ الذَّكِىُّ بالوَبَاءِ ؛ وَمَاتَ ؛ فَحَزِنَ وَالِدَاهُ حُزْناً شَدِيداً عَلَى فَقْدِه ، وَانْتَشَرَ خَبَرُ وَفَاتِه فِى كُلِّ المَمْلَكَةِ ..

حزنَ الجميعُ ، ولَمْ يعْرِفُوا

أَيْنَ يجدُونَ آخَرَ يرشَّحُونَهُ للْمملكة .

وقَد امْتزجَ حُزْنُ النَّاس بغضَب شديد علَى **المَلك** ، وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُمْ أَنَّ **المَلكَ** غَيْرُ مُبَال (غَيْرُ مُهْتَمٍّ) بحُزْنهمْ ومُعَاناتهمْ منَ الوَبَاء ، وأَنَّ **ابْنَهُ** خَرَجَ فى رحْلة إلى بلاد أُخْرَى منَ العَالَم للتَّنزُّه ؛ فتَأَكَّدُوا أَنَّ **الابْنَ** مثْلُ أَبيه ؛ لأَنَّهُ لَيْس منَ اللائق أَنْ يتْرُكَ بلاَدَهُ وهى فى حَالَة حُزْن كَهذه .

وإِذَا كَانَت الحُمَّى (مَرَضٌ خَطيرٌ) ما تَزَالُ مُتفَشِّيَةً (مُنْتشرَةً) وصَلَ ابنُ المَلك ـ مُتَنَكِّراً ـ إلَى إحْدَى القُرَى ، وهُوَ يَسيرُ ببُطْء ـ كَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ شَىْء ضَائع ـ إلَى أَنْ جَاءَ أَمَامَ بَيْت ، وقَرَعَهُ (طَرَقَ البَابَ) ؛ فَفَتَحَتْ لَهُ **امْرَأَةٌ حَزِينَةٌ** ، وسَأَلَتْهُ عَمَّا يُرِيدُ .

فَقَالَ : « لَقَدْ أَتَيْتُ ـ يَا سَيِّدَتِى ـ لأَطْلُبَ مِنْكِ طَلَباً غَرِيباً ؛ فَقَدْ كَانَتْ لِى أُمٌّ صَالِحَةٌ .. مَاتَتْ وَأَنَا صَغِيرٌ ، وَكَانَ أَبِى لاَ يَهْتَمُّ بِأَمْرِى ؛ فَخَرَجْتُ لأَبْحَثَ عَنْ بَيْتٍ آخَرَ أُشَارِكُهُ أَفْرَاحَهُ وَأَحْزَانَهُ ، وَآكُلُ فِيهِ خُبْزِى بِعَرَقِ جَبِينِى .. فَأَرْجُوكِ أَنْ تَقْبَلِينِى فِى بَيْتِكِ ، وَتَعْتَبِرِينِى ابْناً لَكِ » .

تَرَدَّدَتِ الْمَرْأَةُ ، وَلَكِنَّهَا رَأَتْ فِى وَجْهِ الْفَتَى مَا يَدُلُّ عَلَى طِيبَةِ قَلْبِهِ فَقَالَتْ فِى نَفْسِهَا : « إِنَّهُ أَكْبَرُ قَلِيلاً مِنْ وَلَدِى الَّذِى رَحَلَ ، وَلَكِنَّهُ طَيِّبٌ ؛ فَلِمَاذَا لاَ أَقْبَلُهُ وَأَكُونُ أُمّاً لَهُ » .

ثُمَّ سَأَلَتْهُ : « كَمْ عُمْرُكَ .. ؟ » .

فَقَالَ : « عِشْرُونَ عَاماً ـ يَا سَيِّدَتِى » .

فَتَذَكَّرَتِ الْمَرْأَةُ ابْنَهَا الرَّاحِلَ ، فَاشْتَدَّ حُزْنُهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : « إِنَّكَ فِى مِثْلِ سِنِّ ابْنِى الَّذِى مَاتَ مُؤَخَّراً ، فَادْخُلْ وَخُذْ مَكَانَهُ فِى الْبَيْتِ » .

فَعَاشَ الْفَتَى ـ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ـ مَعَ الرَّجُلِ وَزَوْجَتِهِ ،
وَأَصْبَحَ ابْناً بَاراً بِهِمَا (مُحِبّاً لَهُمَا عَطُوفاً عَلَيْهِمَا) ..
وَبِسُرْعَةٍ حَصَلَ عَلَى عَمَلٍ فِى مَزْرَعَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ بَيْتِهِمَا ،
وَبَدَأَ يُصَادِقُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ ؛ فَصَارُوا يَعْرِفُونَهُ بِاسْمِ « زَكَرِيَّا » .

ولَمْ يسْألْهُ أحدٌ عنْ أصْله ، ولكنَّ الكُلَّ أحبُّوهُ بسبَب جمَال أخْلاقه وعطْفه على الجميع ، وكان كثيراً ما يجْمعُ أبْناءَ القريَة في بعْض الأمْسيات (الأجْزاء الأولى منَ الليْل) ويُعلِّمُهُمْ أشْياءَ مفيدةً ونافعةً ممَّا تعلَّمهُ في الحياة .

ولَمْ يمْض وقْتٌ طويلٌ حتَّى اطَّلع على حقيقَة أحْوال النَّاس وسَبَب شكْواهُمْ ، وقدْ وجد أنَّ سبَب أغْلب (مُعْظَم) متاعبهمْ هُوَ المَلِكُ ، وكثيراً ما كانَ يسْمعُهُمْ يتذمَّرون (يغْضبُونَ) علَى الملِك ، ويُصْغي (يستمعُ) لهُمْ بكُلِّ اهْتمام وعطْف .

وذَات يوْم انْتشر الخبرُ بأنَّ الملكَ قدْ ماتَ ، وأنَّ ابْنهُ « الأميرَ » سيعُودُ منْ رحْلته بسُرْعة ليجْلس علَى عرْش أبيه ، وأنَّهُ سيمُرُّ غداً بموْكبه في وسط القريَة ، وأنَّه أشرُّ (أكْثرُ شرّاً وظُلْماً) منْ أبيه وأكْثرُ محبَّةً لذاته ، ولملذَّاته ..

فقال بعْضُهُمْ : « لنقْتُلْهُ حين يمرُّ منْ هُنا فنَسْتريحَ منْهُ » .

وقَال آخرونَ : « لَيْسَ منَ العدْل أنْ نقْتُلهُ قبْلَ أنْ نرَى منْهُ شرّاً » .

وقَال غيْرُهُمْ : « لنُعْطه فُرْصةً ، ثُمَّ نحْكُمْ علَيْه بعَمَله » .

بَيْنَما كَانَ بَعْضُهُمْ خَائِفاً ؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا :

« اتْرُكُوهُ يَمُرُّ بِمَوْكِبِهِ دُونَ أَنْ تَتَعَرَّضُوا لَهُ .. لِئَلاَّ يُؤْذِيَكُمْ » .

وَسَمِعَ « زَكَرِيَّا » كُلَّ هَذِهِ الأَحَادِيثِ والمُبَاحَثَاتِ ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ . فَقَالُوا لَهُ : « وَأَنْتَ .. مَاذَا تَرَى ؟ » .

فَقَالَ : « رُبَّمَا كَانَ لِلأَمِيرِ أَغْلاَطٌ (أَخْطَاءٌ) كَثِيرَةٌ ، وَلَكِنْ لاَتَتَعَجَّلُوا ، بَلْ أَعْطُوهُ فُرْصَتَهُ ، ثُمَّ احْكُمُوا » .

وَهكَذَا انْفَضَّ (انْتَهَى) الاجْتِمَاع .
وفِى اليَوْمِ التَّالِى تَجَمَّعَ النَّاسُ فِى
الشَّوَارِعِ ، وَاخْتَارُوا مِنْ بَيْنِهِمْ
شَخْصاً يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِهِمْ ..

وَإِذَا بِالجُنُودِ يَمُرُّونَ بِسُرْعَةٍ ، وَخُيُولُهُمْ تَنْهَبُ الأَرْضَ (تَجْرِي بِسُرْعَةٍ) وَبَعْدَهُمْ جَاءَتْ عَرَبَةُ الأَمِيرِ ، وَأَمَامَهَا مُنَادٍ يَقُولُ :

« مَهِّدُوا الطَّرِيقَ لِلْمَلِكِ الجَدِيدِ » .

وَمَا إِنْ وَصَلَتِ العَرَبَةُ حَتَّى وَقَفَتْ خُيُولُهَا بِإِشَارَةٍ مِنَ الأَمِيرِ .

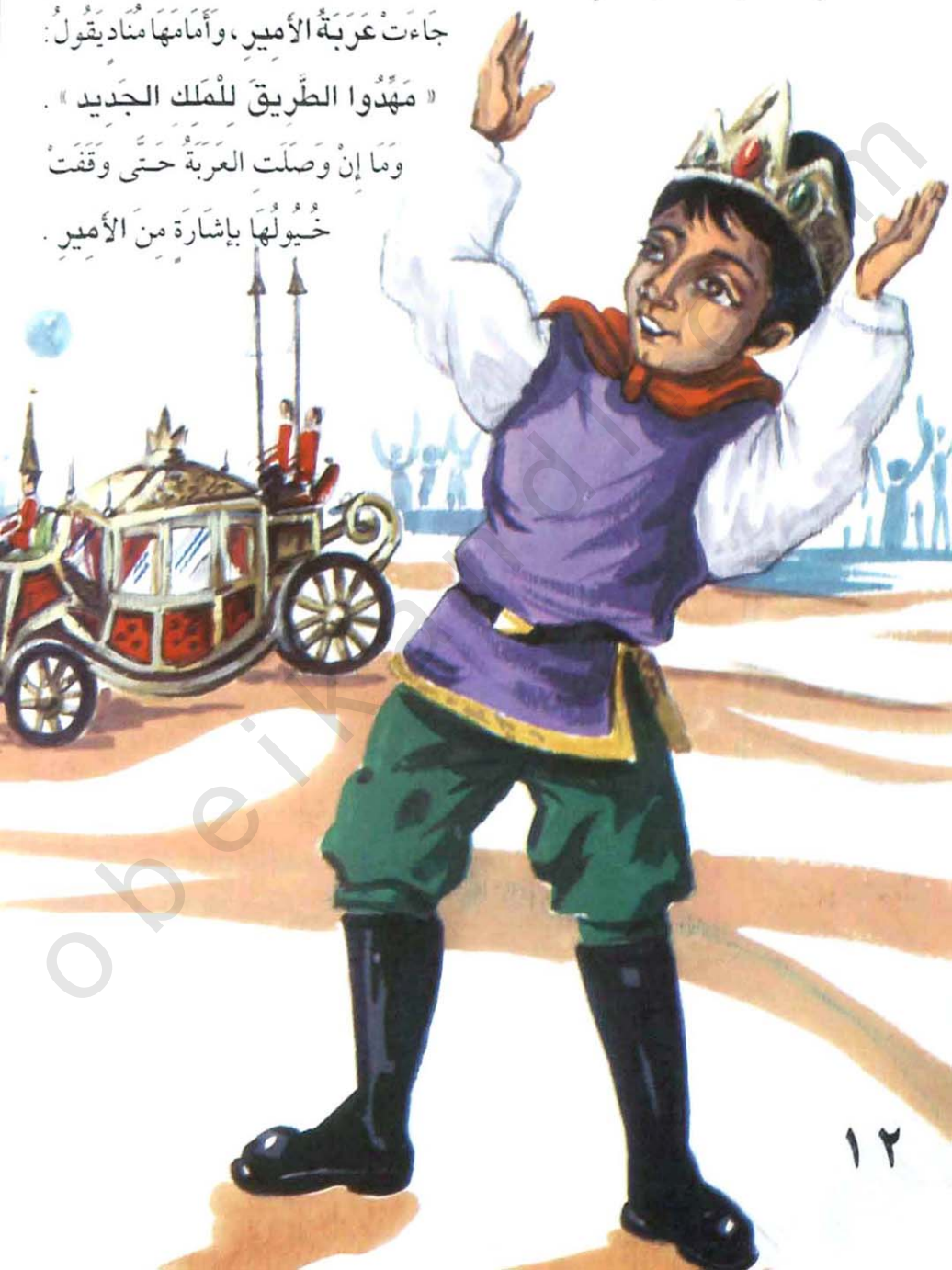

خَرَجَ مِنَ العَرَبَةِ شَابٌّ وَوَقَفَ أَمَامَ النَّاسِ ، فأصَابَهُمْ ذُهُولٌ وَصَمْتٌ تَامٌّ .

فَقَالَ لَهُمُ **الأَمِيرُ** ـ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ـ : « الآنَ وَقَدْ عَرَفْتُمُونِى .. فَأَنَا هُوَ « **زَكَرِيَّا** » وَأَنَا **ابنُ المَلِك** ؛ وَقَدْ أَشَعْتُ (قُلْتُ كَذِباً) أَنَّنِى سَافَرْتُ ؛ لأَتَنَكَّرَ وَأَعِيشَ بَيْنَكُمْ وَأَدْرُسَ أَحْوَالَكُمْ ، وَقَدْ كُنْتُ سَعِيداً جِداً بمعَاشَرَتِكُمْ ، وَكَانَتْ أَيَّامِى بَيْنَكُمْ أَسْعَدَ مِنَ الأَيَّامِ الَّتِى قَضَيْتُهَا فِى قَصْرِ وَالِدِى .. فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ أَكُونَ مَلِكاً عَلَيْكُمْ ؛ فَإِنِّى مُسْتَعِدٌّ لأَنْ أَكُونَ **مَلِكاً صَالِحاً** .. بَلْ خَادِماً لَكُمْ ، أَفْعَلُ كُلَّ مَا فِيهِ رَاحَتُكُمْ وَسَعَادَتُكُمْ .. فَمَاذَا تُرِيدُونَ ؟ » .

فَهَتَفُوا كُلُّهُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ : « **يَحْيَا المَلِك** ..

يَحْيَا المَلِك .. أَنْتَ مَلِكُنَا لا سِوَاكَ (لَيْسَ غَيْرَكَ) » .

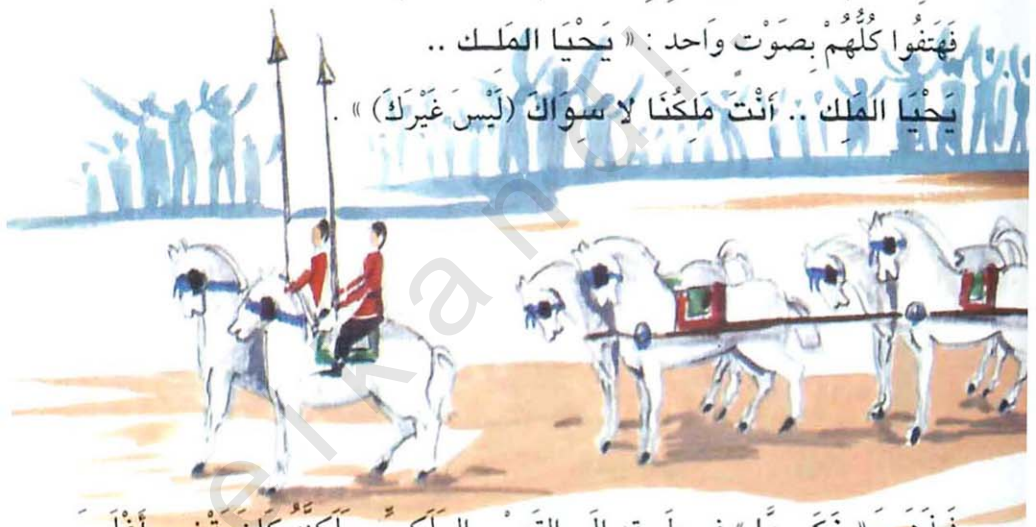

فَذَهَبَ « **زَكَرِيَّا** » فِى طَرِيقِهِ إِلَى القَصْرِ المَلَكِىِّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقْضِى أَغْلَبَ أَوْقَاتِهِ مُتَفَقِّداً (مُطْمَئِناً عَلَى أَحْوَالِ) شَعْبِهِ ، جَائِلاً (مُتَنَقِّلاً بَيْنَهُمْ) مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ ، وَيَنْظُرُ فِى أَحْوَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ وَيُسَاعِدُهُمْ بِكُلِّ مَا فِى اسْتِطَاعَتِهِ ؛ فَبَرْهَنَ (أَثْبَتَ) أَنَّهُ أَهْلٌ لِثِقَتِهِمْ بِهِ (يَسْتَحِقُّهَا) وَأَنَّهُ صَادِقٌ فِى وُعُودِهِ الَّتِى وَعَدَهُمْ بِهَا ؛ فَأَحَبُّوهُ وَصَارُوا يَتَفَانَوْنَ فِى خِدْمَتِهِ (يَخْدُمُونَهُ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ) .

أَصْدِقَائِى :

« الأَخْلاَقُ الطَّيِّبَةُ ، وَالبَسَاطَةُ ، وَالرُّوحُ الحُلْوَةُ ، وَعَدَمُ الكِبْرِيَاء ، وَالتَّوَاضُعُ ، وَخِدْمَةُ الآخَرِينَ ؛ هِيَ أَسَاسُ الحَيَاةِ النَّافِعَةِ وَالنَّاجِحَةِ » .

أسئلة

١ ـ هَلْ كَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَ المَلِكَ العَجُوزَ ؟ .. ولمَاذَا ؟

٢ ـ مَا اسْمُ الأَمِيرِ الصَّغِيرِ ؟ .. وَكَمْ عُمْرُهُ ؟

٣ ـ مَا الحِيلَةُ الَّتِى لَجَأَ إِلَيْهَا الأَمِيرُ ؟ .. ولمَاذَا فَعَلَ هَذَا ؟

٤ ـ مَا هُوَ أَسَاسُ الحَيَاةِ النَّافِعَةِ والنَّاجِحَةِ ؟

٥ ـ مَاذَا تَعَلَّمْتَ مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ ؟

يعقوب ، لوسى .
الملك زكريا / تأليف لوسى يعقوب ؛
رسوم محمد فايد .
ط ١ . - القاهرة : دار الرشاد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧
١٦ ص ؛ ٢٤ سم . - (حكايات لطفلى . من الحكم الذهبية ؛ ٤)
تدمك ٩ - ٠٧٧ - ٣٦٤ - ٩٧٧
١ - قصص الأطفال ٢ - القصص العربية
أ - فايد ، محمد (رسام)
ب - العنوان
جـ - السلسلة ٨١٣,٠٢

النـاشـــر : دار الرشـاد
العنـــوان : ١٤ شارع جواد حسنى ـ القاهرة
تليفـاكـس : ٣٩٣٤٦٠٥
بريد إلكترونى : Der al rashad @ hot mil com
رقـم الإيـداع : ٩٠٣٨ / ٢٠٠٧
جمـــع : أرمس
تليفـــون : ٧٩٦٤٤٠٤
طبـــع : عربية للطباعة والنشر
تليفـــون : ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣
تصميم غلاف : الفنان عبادة الزهيرى
الطبعـة الأولى : ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
مـراجعـة : محمد دياب

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

obeikandi.com